

الضمائر المنعكسة في اللغة العربية

الدكتور محمود أحمد نحلة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

النقص والقصور.

والنحاة العرب لم يعرفوا مصطلح «الضمائر المنعكسة» Reflexive Pronouns وإن عرفوا بعض ما يدخل فيه، ويندرج تحته، وعرفه نحاة بعض اللغات الأخرى، واستخدموا لما يدل عليه مصطلحا بديلا هو «الأفعال المنعكسة»⁽¹⁾ Reflexive Verben وهم يرون أن الضمير يكون منعكسا إذا كان مفعولا للفعل، متحدا coreferential مع الفاعل أو عائدا إليه،⁽²⁾ والأفعال المنعكسة عندئذ هي الأفعال التي يكون معها الفاعل والمفعول به متطابقين أو عائدين إلى شخص واحد.⁽³⁾

وقد عرف نحاة العربية هذه الظاهرة من خلال درسهم لما أسموه «أفعال القلوب» وهي عند بعضهم سبعة أفعال: ظن، وحسب، وخال، وزعم، وعلم (إذا لم تكن بمعنى عرض)، ورأى (إذا لم ترد

لا يزال الدرس النحوي العربي القديم في حاجة إلى قراءة معاصرة تفيده من اتجاهات الدرس الحديث، ومناهجه، وطرائقه في رصد الظواهر اللغوية، ومعالجتها على نحو مضبوط، ويمكن الكشف بها عن ظواهر لم يعرض لها النحاة القدماء ومن صدر عن منهجهم من المحدثين، أو عرضوا لها ولكن لم يوفوها حقها من البحث الكاشف لها والمحيط بها. وليس من شك في أن أجيالا من الباحثين - وبخاصة من اتصل منهم بعلم اللغة الحديث دراسة وفهما - حاولوا، ويحاولون الآن الإفادة من جهود علماء اللغة المحدثين في أوروبا وأمريكا في تجديد نظرتهم لتراثنا النحوي كله، والكشف عن كنوزه المخبوءة، وإثرائه، والإضافة إليه وإبراز عناصر القوة فيه، وإصلاح ما قد يكون فيه من جوانب

وعن إياك.

وكذلك المتكلم، لا يجوز له أن يقول
أَهْلَكْتُنِي وَلَا أَهْلِكُنِي لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ
مَفْعُولَهُ فِقَبِيحٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتَغْنَوْا
بِقَوْلِهِمْ أَنْفَعْ نَفْسِي عَنِ «نِي»، وَعَنِ
«إِيَّاي».

وكذلك الغائب لا يجوز لك أن تقول
ضربه إذا كان فاعلا وكان مفعوله نفسه،
لأنهم استغنوا عن الهاء وعن إيا بقولهم
ظلم نفسه وأهلك نفسه، ولكنه قد يجوز
ما قبحها هنا في حسبت وظننت وخذت،
وأرى وزعمت، ورأيت إذا لم تعن رؤية
العين، ووجدت إذا لم ترد وجدان
الضالة، وجميع حروف الشك، وذلك
قولك حسبتني وأراني ووجدتني
فعلت كذا وكذا، ورأيتني لا يستقيم لي
هذا. وكذلك ما أشبه هذه الأفعال، تكون
حال علامات المضمير المنصوبين فيها
إذا جعلت فاعليهم أنفسهم كحالها إذا
كان الفاعل غير المنصوب.

ومما يثبت علامة المضميرين
المنصوبين ها هنا أنه لا يحسن إدخال
النفس ها هنا. لو قلت يظن نفسه فاعلة
وأظن نفسي فاعلة على حد يظنه وأظنني
ليجزىء هذا من ذا لم يجزىء كما أجزأ
أهلكت نفسك عن أهلكتك، فاستغنى
به عنه... وإذا أردت برأيت رؤية العين لم

رؤية العين)، ووجد (إذا لم ترد وجدان
الضالة). (4) وأضاف إليها بعضهم «عدم»،
و«فقد»، و«هَبُّ» (بمعنى احسب) (5)
وذكروا أن من خصائصها «أنك تجمع
فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول:
علمتني منطلقا ووجدتك فعلت كذا،
ورآه عظيما، وقد أجزت العرب عدمت
وفقدت مجراها، فقالوا عدمتني
وفقدتني». (6) ولما كان هذا من
خصائص «أفعال القلوب» فقد نصوا على
أن ذلك لا يجوز في غيرها، بل يتوصل إلى
التعبير عن هذا المعنى في غير أفعال
القلوب بطريقة أخرى سنعرض لها.

ونود قبل الخوض في وصف هذه
الظاهرة تركيبيا ودلاليا أن نعرض لما جاء
عنها في كتب النحو العربي، لنقف على ما
وصلوا إليه فيها، ونعرف أي مدى بلغوه
في الكشف عنها والإحاطة بها:

جاء في كتاب سيبويه: «هذا باب لا
تجوز فيه علامة المضمير المخاطب، ولا
علامة المضمير المتكلم، ولا علامة المضمير
المحدث عنه الغائب، وذلك أنه لا يجوز لك
أن تقول للمخاطب: اضربك، ولا
اقتلك، ولا ضربتك، لما كان المخاطب
فاعلا وجعلت مفعوله نفسه قبح ذلك،
لأنهم استغنوا بقولهم اقتل نفسك
وأهلكت نفسك، عن الكاف ها هنا

يجز رأيتُني، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت». (7)

وجاء فيه أيضا : «ولا يجوز أن تقول ضربتُني، ولا ضربتُ إياي، لا يجوز واحد منهما لأنهم استغنوا عن ذلك بـضربتُ نفسي، وإياي ضربتُ». (8)

هذان النصان النفيسان من كتاب سيبويه تردد صداهما من بعد في كتاب النحاة الخالفين، وأضاف بعضهم إلى ما جاء فيهما تفصيلات من الأهمية بمكان، سنعرض لها إن شاء الله.

ويمكننا أن نلاحظ في كلام سيبويه ما

يأتي:

1 — فهم سيبويه ظاهرة «الانعكاس» كما فهمها نحاة الغرب، دون أن يضع لها مصطلحا خاصا كما فعلوا، بل جعلها جزءا من تعدية الفعل إلى المفعول، فالرجل يدرك ما حددوا به معنى «الانعكاس»، وهو أن يوقع الفاعل الفعل بنفسه، فيكون الفاعل مفعولا به، وعبارته صريحة في ذلك: «...لما كان المخاطب فاعلا، وجعلت نفسه مفعوله...»، «...لايجوز له أن يقول أهلكتُني ولا أهلكني لأنه جعل نفسه مفعوله...».

2 — حدد سيبويه الضمائر التي تحمل هذا المعنى بضمائر النصب والجر المتصلة وهي ياء المتكلم وكاف المخاطب،

وهاء الغائب، ثم «إيا» مقدمة مضافا إليها ضمائر التكلم والخطاب والغيبة، واستبعد بذلك أن تحمل ضمائر الرفع هذا المعنى، ومثل هذا نجده عند نحاة الألمانية، إذ ينصون على أن الضمائر المنعكسة لا تستخدم إلا في حالتي النصب والجر، ولا يمكن أن تستخدم في حالة الرفع. (9)

3 — ذكر سيبويه أن هذه الضمائر ترد مباشرة مع بعض الأفعال، وقد ترد مسبوقة بكلمة «نفس» أو «إيا». وواضح أن سيبويه يسوى بين قولك: ضربتُ نفسي، وإياي ضربتُ، ومع أن ظاهر كلامه يمنع ضربتُ إياي، فقد أورد في موضعين من كتابه شاهدا يدل على جوازه، هو قول ذي الإصبع العدوانى:

كَأَنَّ يَوْمَ قُرَى إِ نَمَّا نَقْتُلُ إِيَانَا (10)

أي : نقتل أنفسنا، وفي هذا الشاهد دليل على ما لم ينص سيبويه عليه، وهو أنها مؤخرة أيضا بمعنى أنفسنا وتقوم مقامها.

4 — ما ذكره سيبويه يدل على أن الأفعال مع الضمائر المنعكسة تتصرف تصرفها مع غيرها فترد ماضية، ومضارعة، وأفعال أمر، وقريب من ذلك موجود في غير العربية أيضا كاللغة الألمانية، فإن الأفعال المنعكسة فيها تستخدم من حيث الزمن Tempus ودلالة

والأفعال التي يرد معها ضمير المفعول عائدا على ضمير الفاعل غير مسبوق بكلمة «نفس» أفعال محدودة، تكون مجموعة «مغلقة» من الأفعال حدها النحاة بعشرة أفعال، أما الأفعال التي يرد ضمير المفعول معها عائدا على ضمير الفاعل مسبوqa بكلمة «نفس» فهي مجموعة «مفتوحة» تشمل سائر الأفعال. وإذا جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم(1) بنية باطنة عميقة Deep Structure «تحولت» في الأمثلة التي وردت في رقم(2) إلى بنية سطحية ظاهرة Sur-face Structure جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم(3) بنية باطنة «تحولت» في الأمثلة التي وردت في رقم(4) إلى بنية سطحية ظاهرة وإذا جاز أن يكون الضمير المنعكس مسبوqa بـ«نفس» أو «إيا» في رقم(2)، فإنه لايجوز أن يكون كذلك في رقم(4). ويجوز لنا بعد ذلك أن نضع قاعدتين إجباريتين «تتولد» بهما الضمائر المنعكسة، وتشملان المادة اللغوية السابقة الواردة في كتاب سيبويه:

القاعدة الأولى :

إذا كان الضمير مفعولا أول الفعل من أفعال القلوب عائدا على الفاعل كان ضميرا منعكسا.

الصيغة Mudus استخدام الأفعال غير المنعكسة. (11)

5 — عرض سيبويه لتوزيع (12) هذه الضمائر محددًا استخدامها الصحيح والمواضع التي تخرج فيها على الصحة النحوية، ويمكننا أن نوضح ذلك على النحو الآتي:

(1) أ - (أنا) ضربتُني*

ب - (أنت) ضربتْكَ*

ج - (هو) ضربَهُ*

(2) أ - (أنا) ضربتُ نفسي (إياي)

ب - (أنت) ضربتِ نفسك (إياك)

ج - (هو) ضربَ نفسه (إياه)

(3) أ - (أنا) ظننتُ نفسي مجتهدا*

ب - (أنت) ظننتِ نفسك مجتهدا*

ج - (هو) ظنَّ نفسه مجتهدا*

(4) أ - (أنا) ظننتُني مجتهدا

ب - (أنت) ظننتِكِ مجتهدا

ج - (هو) ظنَّه مجتهدا

بمقارنة هذه المجموعات يتضح أن الضمائر المتصلة التي تتحد مع الفاعل أو تعود إليه نوعان: ضمائر مسبوقة بكلمة نفس، وضمائر غير مسبوقة بها، وحيث تجوز هذه لا تجوز تلك، وهي في الحالة الثانية مفعول مباشر للفعل، وفي الحالة الأولى انتقل حكم الضمير إلى كلمة نفس، فوقعت مفعولا به، وأضيف الضمير إليها.

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبقاً بكلمة نفس أو إياً كان ضميراً منعكساً.

وعلى أساس من هاتين القاعدتين يمكن استبعاد أن تكون الضمائر في الأمثلة الآتية ضمائر منعكسة:

(5) أ - (أنا) ضربتُك.

ب - (أنا) ضربتُه.

(6) أ - (أنت) ضربتني.

ب - (أنت) ضربته.

(7) أ - (هو) ضربني.

ب - ((هو) ضربك.

(8) أ - (أنا) ظننتُك...

ب - (أنا) ظننتُه...

(9) أ - (أنت) ظننتني...

ب - (أنت) ظننته...

(10) أ - (هو) ظننتني...

ب - (هو) ظننتك...

كذلك لا يمكن أن «تولد» بهما

التركيب السطحية الآتية:

(11) أ - (أنا) ضربتُ نفسك*.

ب - (أنا) ضربتُ نفسه*.

(12) أ - (أنت) ضربتُ نفسي*.

ب - (أنت) ضربتُ نفسه*.

(13) أ - (هو) ضرب نفسي*.

ب - (هو) ضرب نفسك*.

(14) أ - (أنا) ضربتُني*.

ب - (أنت) ضربتُك*.

ج - (هو) ضربَه*.

(15) أ - (أنا) ظننتُ نفسي*...

ب - (أنا) ظننتُ نفسك*...

ج - (أنا) ظننتُ نفسه*...

(16) أ - (أنت) ظننتَ نفسك*...

ب - (أنت) ظننتَ نفسي*...

ج - (أنت) ظننتَ نفسه*...

(17) أ - (هو) ظن نفسه*...

ب - (هو) ظن نفسي*...

ج - (هو) ظن نفسك*...

ولا يمكن بهما أيضاً إنتاج جمل

«نحوية» في البنية السطحية مثل:

(18) أ - نفسي ضربتني*.

ب - نفسك ضربتك*.

ج - نفسه ضربته*.

ولنشر الآن إلى ملحظ نراه ضرورياً في

المادة اللغوية السابقة، فقد حكمنا على

(14ج): هو ضربه بأنها غير صحيحة

نحوياً، بناءً على القاعدة الثانية على

أساس أن الضارب هو المضروب كما

يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية:

هو ضربه

أ أ

لكن هذه الجملة تحتل أن يكون

الضارب فيها غير المضروب، فلا يعود

فيها ضمير المفعول على ضمير الفاعل،
كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية:

هو ضربه

أ ب

ولذلك لا بد من العودة إلى البنية
الباطنة التي تحتوي على الخبر المراد، فإذا
كان الضارب فيها هو المضروب انطبقت
عليها القاعدة الثانية فولدت منها الجملة
الصحيحة نحويًا وهي: هو ضرب نفسه،
وإن كان الضارب فيها غير المضروب
تولدت هذه البنية: هو ضربه الصحيحة
نحويًا، وبهذا نعلم أن من التراكيب
السطحية الظاهرة ما لا يمكن الحكم عليه
بالصحة النحوية أو انتفائها عنه إلا بعد
العودة إلى البنية الباطنة العميقة. وهذا
الأمر غير متحقق في المادة اللغوية السابقة
إلا في ضمير الغائب.

ولعل من اللازم الآن أن نختبر انطباق
القاعدتين اللتين وضعناهما بناءً على ما
ورد من أمثلة في كتاب سيبويه على مادة
لغوية مستعملة في أوثق نص عربي
وأجدره بالاعتماد عليه، وهو القرآن
الكريم. والأمر في القاعدة الأولى هين
ميسور، إذ الضمائر المنعكسة «تولد» بها
مع مجموعة «مغلقة» من الأفعال محددة
كما ذكرنا بعشرة أفعال، فإذا ذهبنا
نلتمس لها دليلاً من القرآن الكريم وجدنا

أنه لم يرد من أفعال القلوب التي يعود
مفعولها الأول على فاعلها غير الفعل
المضارع «يرى» مضارعاً مسنداً إلى
ضمير المتكلم، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السُّجُنَ
فَتَيَّانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي
أُعْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي
أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾

(يوسف 36).

وغير الفعل «رأى» ماضياً مسنداً إلى
ضمير الغائب كما في قوله تعالى:

﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ أَنْ
رَأَاهُ اسْتَفْغَىٰ﴾

(العلق 6، 7)

والقاعدة منطبقة عليهما، فالضمير
مفعول أول لفعل من أفعال القلوب عائد
على الفاعل، فهو إذن ضمير منعكس.

فإذا تتبعنا استخدام القرآن الكريم
لأفعال القلوب التي وردت فيه استخداماً
انعكاسياً وهي: ظن، وحسب، ورأى،
وعلم، تبين لنا أن القرآن الكريم يدخل في
عدد من المواضع «أن» على الضمير
المنعكس على الفاعل، وأكثر ما يكون ذلك
مع الغائب منعاً للبس الذي أشرنا إليه في
المثال (14ج)، وذلك في قوله تعالى:

ذلك إلى اللبس في البنية السطحية الظاهرة فالضمير عندئذ يحتمل العودة على الفاعل فيكون ضميرا منعكسا، والعودة على غير الفاعل فيكون غير منعكس.

والقرآن الكريم يلجأ إلى ذلك أيضا إذا كان الفاعل مفصولا عن ضمير النصب المنعكس عليه، إذ لا يمكن عندئذ اتصال الضمير بالفاعل، فوسطت «أن» بينهما، كما في قوله تعالى:

﴿وَوَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾

(يونس 24)

﴿أَلَا يَظُنُّ أَوْلِيكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾

(المطففين. 4).

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي

أُذْبَحُكَ﴾

(الصافات 102).

وقد فصلت «إن» المكسورة الهمزة بين الفاعل الظاهر والضمير المنعكس عليه في موضع واحد في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ

لَمُخْضَرُونَ﴾

(الصافات 158).

وعلى أساس مما عرضناه من مادة لغوية ينبغي أن نعود إلى القاعدة الأولى التي وضعناها بناء على ما ورد في كلام سيبويه والنحاة من بعده، فنجري عليها التعديل الآتي:

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ

مِّنَ اللَّهِ﴾

(الحشر 2)

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطَ بِهِمْ﴾

(يونس 22)

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾

(يوسف 110)

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾

(الكهف 53)

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا

رَبِّهِمْ...﴾

(البقرة 46)

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا

اللَّهِ...﴾

(البقرة 249)

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾

(الأعراف 30)

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

(الكهف 104)

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾

(المجادلة 18)

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾

(الأعراف 149)

وظاهر أن الضمير إذا اتصل بالضمير

دون أن تفصل بينهما «أن» فقيـل:

فظنّوهم، أو يحسبونهم، أو : رأوهم، أدى

القاعدة الأولى :

إذا كان مع أفعال القلوب ضمير عائد على الفاعل كان ضميرا منعكسا.

وننتقل الآن لننظر فيما تنطبق عليه القاعدة الثانية من القرآن الكريم، فقد ورد فيه قوله جل وعز:

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

(البقرة 130).

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾

(البقرة 231).

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾

(النمل 44)

﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

(البقرة 54).

﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾

(الأحزاب 50).

﴿فَتَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

(الحديد 14)

﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

(الأعراف 9).

﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾

(يوسف 53).

﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾

(البقرة 207).

﴿يُظْلِمُ نَفْسَهُ﴾

(النساء 110).

﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾

(المائدة 25).

﴿وَتَنْسُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

(البقرة 44).

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

(البقرة 85).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(النساء 29).

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾

(البقرة 84).

﴿كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

(البقرة 187).

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾

(التوبة 36).

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(الحجرات 11).

﴿فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(النجم 32).

﴿يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾

(النساء 49).

﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾

(النساء 107).

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾

(النساء 113).

﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾

(الأنعام 26).

غير أفعال القلوب مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيّا) كان ضميرا منعكسا.

على أننا قد وجدنا في القرآن الكريم شاهدا بني فيه الفعل للمجهول، فلم ينعكس الضمير على الفاعل، بل انعكس على نائب الفاعل، وذلك في قوله تعالى:

﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾

(النساء 84).

من ثم وجب أن تعدل القاعدة مرة أخرى لتصبح:

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائدا على الفاعل أو نائبه في غير أفعال القلوب مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيّا) كان ضميرا منعكسا.

ولما كانت كلمة (نفس) أو جمعها، وكلمة (إيّا) ترد كل منهما ملازمة للضمير المنعكس لا تنفك عنه، ولا ينفك عنها أو يذهب عن الضمير معنى الانعكاس، وتصبح الجملة التي يرد فيها «غير نحوية»، فإننا نبيح لأنفسنا أن نطلق على الضمير المسبوق بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس)، أو المسبوق بكلمة (إيّا) مصطلح «ضميمة منعكسة» ليتيسر لنا الوصف التركيبي والدلالي لها.

﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

(الأعراف 192).

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾

(الكهف 28).

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(البقرة 54).

﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(النساء 66).

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(الأنعام 93).

﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

(إبراهيم 22).

وواضح أن القاعدة الثانية تنطبق انطباقا تاما على العبارات القرآنية السابقة مع تعديل طفيف فيها على النحو الآتي:

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائدا على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) كان ضميرا منعكسا. وواضح أيضا أن الضمير في النصوص السابقة لم يرد مسبوقة بـ(إيّا)، لكنه ورد في شاهد شعري أورده سيبويه هو:

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا (13)

فوجب أن يضاف إلى القاعدة فتصبح:

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائدا على الفاعل في

أولاً - الوصف التركيبي :

أ - مع أفعال القلوب :

1 - الضمائر المنعكسة مع أفعال القلوب لا تكون إلا ضمائر تكلم أو خطاب أو غيبة في محل نصب وتنعكس على الفاعل ضميراً أو اسماً ظاهراً، غير مفصولة عنه، أو مفصولة عنه بـ(أَنَّ) أو (إِنَّ). والنحاة يجعلون من خصائص هذه الأفعال أن ضمير الفاعل فيها يتعدى إلى ضمير المفعول، ولا يلتفتون إلى فاعلها الظاهر، ولا إلى توسط (أَنَّ) أو (إِنَّ) بين الفاعل والضمير المنعكس عليه، لأن شأنها في ذلك شأن سائر الأفعال غير المنعكسة المتعدية إلى مفعولين. يقول ابن السراج: «ويجوز في باب ظننت وحسبت أن يتعدى المضمرة إلى المضمرة». (14) ويقول الزمخشري: «ومنها (أي من خصائصها) أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول: علمتني منطلقاً، ووجدتك فعلت كذا، ورأه عظيماً». (15) وقال ابن يعيش في شرحه لعبارة الزمخشري: «وأما أفعال القلوب التي هي ظننت وأخواتها فإنه يجوز ذلك فيها ويحسن، فيتعدى «ضمير» الفاعل فيها إلى «ضمير» المفعول الأول دون الثاني فتقول: ظننتني غنياً، وحسبتك غنياً، وذلك لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو في

المفعول الثاني، ألا ترى أن الظن والعلم إنما يتعلقان بالثاني، لأن الشك وقع فيه، والأول كان معروفاً عنده، فصار ذكره كاللغو فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثاني، لأن الأول كالمعدوم، والتعدي في الحقيقة إلى الثاني، وقوله: «رأه عظيماً» في المثال، يريد: إذا كان المفعول الأول هو الفاعل المضمرة في «رأى» فاعرفه». (16)

ويقول الرضي في شرح الكافية: هذه الأفعال المذكورة في متن الكافية، ولفظة «هَبَّ» بمعنى احسب، و «رأى» الحلمية يجوز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين متحدي المعنى نحو: علمتني قائماً، وقال تعالى: ﴿إِنِّي أُرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا﴾ (17) وقال السيوطي: لا يجوز أن يكون الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لشيء واحد في فعل من الأفعال إلا في ظننت وأخواتها، وفي فقدت وهدمت. قاله البهاء النحاس في تعليقه على المقرب». (18)

2 - جواز بعض النحاة ورود الفاعل مع هذه الأفعال اسماً ظاهراً نحو: ظنه زيد قائماً، فإذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود على المفعول الظاهر لم يجز نحو: زيدا ظن منطلقاً (19) وقال الرضي: «والقياس جواز: ظن زيداً قائماً، أي نفسه». (20)

والأصوليون من النحاة على أنه إن

6 - يجوز أن يتقدم الضمير المنعكس مع هذه الأفعال على الفاعل، كما اتضح ذلك في المثال الذي أورده الرضي، وهو: ظنه زيدٌ قائماً، (24) فقد تقدم الضمير المنعكس، وفصل الفاعل بين المفعولين.

ب - مع غير أفعال القلوب :

1 - الضمائر المنعكسة مع هذه الأفعال ضمائر تكلم وخطاب وغيبة، مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس)، أو بكلمة (إيّا). ويرى رأيتُ أن الضمير قد يرد مسبقاً بكلمة نفس، أو عين، أو وجه، (وفي العربية المتأخرة: روح، ذات، حال) مثل قتل نفسه، عزُّ به نفسك، اهلكُ روعي، أُسَلِّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ. (25) وقد رأينا أن نطلق على الضمير المنعكس المسبوق بكلمة نفس أو ما يشبهها مصطلح «ضميمة منعكسة». (26)

2 - ترد الضميمة المنعكسة في القرآن الكريم في موقع المفعول به لفعل ماضٍ، أو مضارع، أو أمر كما ظهر في الشواهد القرآنية التي ذكرناها. وقد ترد مفعولاً ثانياً لفعل متعدٍ إلى مفعولين من غير أفعال القلوب، وفي هذه الحالة يفصل الفاعل بين المفعولين كما في قوله تعالى:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

(آل عمران 28)

وجب القياس لشيء حكماً، وجاز أن يأتي السماع بضده فالرأي الأخذ بالقياس حتى يرد ما يبين ذلك. (21)

3 - يمكن أن يحل اسم آخر محل الضمير المنعكس، من ثم فالضمير المنعكس عنصر من العناصر المكملة للجملة، على أن هذا العنصر مطلوب من الفعل على وجه اللزوم، فلا يجوز حذفه. يقول ابن السراج: «...وإنما حقه أن يتعدى فعل المضمير إلى المضمير، وتكون أيضاً قد جعلت المفعول الذي هو فضلة في الكلام لا بد منه وإلا بطل الكلام. (22)

ولا يقتصر استعمال أفعال القلوب على الضمائر المنعكسة، بل كما تستعمل هذه الأفعال منعكسة تستعمل غير منعكسة فنقول مثلاً: ظننت زيدا قائماً، أو: ظننتك قائماً، أو: ظن زيدٌ عمراً قائماً.

4 - لا يمكن أن ينعكس الضمير مع أفعال القلوب على «نائب الفاعل»، ولا أن تبني هذه الأفعال للمجهول إذا اتصل بها ضمير منعكس، مع أنها أفعال متعدية إلى مفعولين، ومن ثم نعدّها حالة خاصة من حالات التعدّي، وتتفق هذه الأفعال من هذه الناحية مع الأفعال المنعكسة في اللغة الألمانية. (23)

5 - يطابق الضمير المنعكس مع هذه الأفعال الفاعل في النوع والعدد.

وترد مفعولا به للمصدر كما في قوله تعالى:

﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

(الروم 28).

وقوله عز و علا :

﴿لَقَدْ لَقِيَ اللَّهُ الْكَبِيرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

(غافر 10).

وترد مفعولا به لاسم الفاعل كما في

قوله جل وعز:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾

(الكهف 6)

وترد مفعولا به لاسم الفعل كما في

قوله جل وعز:

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

(المائدة 105).

وترد الضميمة المنعكسة في موقع

المجرور بحرف جر أصلي كما نجد ذلك

في الشواهد القرآنية الآتية:

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

(آل عمران 93).

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾

(الأنعام 12).

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾

(يوسف 77).

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾

(طه 67).

﴿وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ (طه 41).

﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾

(البقرة 235).

﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾

(التوبة 35)

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾

(الإسراء 7).

﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾

(الأنعام 130).

﴿أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾

(المائدة 52).

﴿كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

(الأنعام 24).

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

(الأنعام 130).

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

(الأنبياء 64).

﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾

(الفرقان 21).

﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

(الزمر 53).

﴿فَعَلَنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾

(البقرة 240).

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

(النساء 111).

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾

(التوبة 120).

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ
لَكَ﴾

(آل عمران 154).

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً﴾

(النساء 65).

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

(الأنعام 123).

﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾

(الروم 8).

﴿فَلَاذَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾

(الروم 44).

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا

اللَّهُ﴾

(المجادلة 8).

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

(البقرة 234).

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾

(البقرة 223).

﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾

(آل عمران 168).

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾

(القيامة 14).

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ

فَعَلَيْهَا﴾

(الأنعام 104).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾

(فصلت 46).

﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾

(يونس 108).

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾

(النمل 40).

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾

(العنكبوت 6).

﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾

(فاطر 18).

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن

نَفْسِهِ﴾

(محمد 38).

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ

نَفْسِهِ﴾

(الفتح 10).

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن

نَفْسِهَا﴾

(النحل 111).

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

(الأعراف 188).

﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾

(يوسف 54).

﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾

(سبا 50).

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ حَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

(البقرة 110).

وترد الضميمة المنعكسة مع اسم
الفاعل دون فاصل مجرورة بحرف جر
أصلي كما في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾

(الكهف 35).

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾

(التوبة 17).

وترد مفصولة بـ(ولو)، كما في قوله
جل شأنه:

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾

(النساء 135).

وظاهر أن الضميمة المنعكسة
المجرورة بحرف جر أصلي غير محفوظة
الرتبة، كما هو شأنها إذا كانت غير
منعكسة، فهي ترد بعد الفاعل، وبعد
المفعول، ومقدمة على المفعول، ومقدمة
على الخبر، ومقدمة على الفعل والفاعل،
ومحصورة بـ(إلا) وخبرا لمبتدأ محذوف.

وترد الضميمة المنعكسة في موقع
الجر بالإضافة إلى المصدر كما في قوله
جل شأنه:

﴿وَمَنْ يُوقَّ شُحَّ نَفْسِهِ﴾

(الحشر 9).

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ

نَفْسِي﴾

(يونس 15).

﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾

(الكهف 51).

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾

(الأنبياء 43).

وترد في موقع المجرور بحرف جر
زائد في محل رفع فاعلا، كما في قوله
تعالى:

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

(الإسراء 14).

3 - تعود الضميمة المنعكسة على
ضمير بارز متصل، أو على ضمير مستتر،
أو على اسم ظاهر كما ظهر في الشواهد
السابقة.

4 - تطابق الضميمة المنعكسة ما تعود
إليه في النوع والعدد.

5 - من الممكن أن يحل محل الضميمة
المنعكسة عنصر لغوي آخر، وليس في
اللغة العربية أفعال لا تستخدم إلا
منعكسة، على نحو ما نجد ذلك مستخدما
في اللغة الألمانية. (27)

6 - يجوز أن تبني الأفعال للمجهول
مع الضميمة المنعكسة، على ألا تكون
الضميمة المنعكسة نائب فاعل، بل يظل
لها موقع النصب، كما في قوله تعالى:

﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (النساء 84).

7 - تستخدم الأفعال المنعكسة من
حيث دلالة الصيغة والزمن استخدام
الأفعال غير المنعكسة.

﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه 96) بدل:
سولت لنفسي.

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾
(يوسف 18) بدل : سولتم لأنفسكم أمرا
﴿وَوَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (آل

عمران 154) بدل: أهموا أنفسهم.
﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾
(المائدة 80) بدل : قدموا لأنفسهم.

12 - قد تقوم (ال) متصلة بـ(نفس)
بوظيفة الضمير المنعكس كما في قوله
تعالى:

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(النازعات 40).

أي : نفسه. (30)

والآن بعد أن تم لنا الوصف التركيبي
للضميمة المنعكسة يجدر بنا أن نعود إلى
القاعدة الثانية التي وضعناها فنجري
عليها التعديل الأخير، حتى يمكن أن
«تولد» بها كل الجمل الصحيحة التي
ذكرناها، وتكون صالحة لتوليد غيرها
من الجمل الصحيحة.

القاعدة الثانية :

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة
اسمية أخرى سابقة عليها في جملة واحدة
هي ضميمة منعكسة.
ولما كانت هذه القاعدة تشمل الآن

8 - يجوز أن ينحصر الضمير
المنعكس عليه، أي: ضمير الفاعل، بـ(إلا)
فينفصل، ولا تصبح هناك حاجة إلى كلمة
«نفس» كما في قولك: ما ضربك إلا أنت
وقد أجازته النحاة. (28)

9 - يجوز أن ترد الضميمة المنعكسة
معطوفة على ضميمة غير منعكسة، كما
في قوله تعالى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾
(آل عمران 61).

10 - ترد الضميمة المنعكسة عائدة

على المفعول به، كما في قوله تعالى:

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾

(الأعراف 172).

إذ المفعول به هنا فاعل في المعنى،
فالمعنى - والله أعلم - : جعلهم يشهدون
على أنفسهم، بدليل قولهم في الإجابة عن
السؤال الذي وجه إليهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف 172)، قال
الزمخشري: «أي: على أنفسنا» (29) ومثل
ذلك قوله تعالى:

﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾

(الحشر 19)

11 - قد ترد الضميمة المنعكسة
مقلوبة، أي: آخذة موقع ما تعود عليه،
تحقيقا لغرض بلاغي، كما في قوله تعالى:

﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾

(النور 61).

وأكثر ما يكون ذلك إذا كان الفاعل جمعا.

4 - لا تتحقق العلاقة الانعكاسية - في غير أفعال القلوب - إلا من خلال حدث يمكن أن ينعكس على الفاعل أو يعود عليه، فإذا لم يكن الحدث صالحا للانعكاس لم يصح استخدام الضميمة المنعكسة معه، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

■ أ - أتممت العمل

ب - أتممت نفسي*

■ أ - تسلمت الجائزة

ب - تسلمت نفسي*

■ أ - ذقت الطعام

ب - ذقت نفسي*

■ أ - قطفتم الثمار

ب - قطفتم نفسي*

.... الخ

5 - يتحقق معنى الانعكاس دون ضميمة منعكسة ببعض صيغ الأفعال المزيدة التي تعبر عن معنى أفعال مجردة أو مزيدة مستخدمة مع ضميمة منعكسة، ومن ذلك صيغة (افتعل)، كما يتضح ذلك فيما يأتي:

- المرأة غسلت ثيابها

القاعدة الأولى، وتغني عنها، فإننا نختصر القاعدتين في قاعدة واحدة إجبارية هي:

القاعدة: (إجبارية)

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة اسمية أخرى سابقة عليها في جملة واحدة هي ضميمة منعكسة.

ثانيا - الوصف الدلالي :

1 - تتحقق العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشواهد السابقة بين عنصرين لغويين أحدهما منعكس والآخر منعكس عليه، والمنعكس عليه فيما أوردناه من أمثلة وشواهد يتسم بسمتين مميزتين Distinctive Features هما: [+حي]، [+بشري].

2 - وردت العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشواهد السابقة تامة، لكن الرضي في شرح الكافية أشار إلى جواز أن تكون علاقة الانعكاس جزئية، فقد أورد المثال الآتي: رأيتنأ مع رسول الله ﷺ، أي: رأيتني ومن معي، وأورد أيضا قولهم: رأيتماك تقول كذا،⁽³¹⁾ فالضمير المنعكس هنا يعود على بعض المنعكس عليه.

3 - يجوز أن تكون العلاقة الانعكاسية تبادلية Reciprocal يصير فيها فعل الانعكاس متبادلا بين الفاعلين، وذلك في نحو قوله تعالى:

المرأة غسلت المرأة* (إذا كانت المرأة في الموضوعين شخصا واحدا).

المرأة غسلت نفسها

المرأة اغتسلت

وقد عرض بروكلمن لبعض ذلك، فذكر أن صيغة (تَفَعَّل) صيغة انعكاسية لـ (فَعَّل) مثل: تكبَّر (=كَبَّرَ نفسه) Sich Gross Machen، ومثل تنبأ (=ادعى النبوة لنفسه) Sich als Propheten Stellen، وذكر أن صيغة (تفاعِل) صيغة انعكاسية لـ (فاعل) مثل: تقاتل (= قاتلوا أنفسهم) Sich Gegenseitig Bekämpfen، وقال: نادرا ما تحمل صيغة (تَفَاعَلَ) معنى الادعاء مثل: تناوم (= ادعى النوم لنفسه) Sich Schlafend Stellen، كما ذكر أن كلا من صيغة (انفعل) مثل: انهزم، و(افتعل) مثل: اكتسب صيغة انعكاسية لـ (فَعَّل)، وأن صيغة (استفعل) صيغة انعكاسية لـ (أفعل) مثل: استوحش Sich Betrüben، ثم قال: ومن الشائع أن تدل هذه الصيغة على رغبة شخص في تحقيق شيء لنفسه، مثل: استغفر. (32)

على أن لهذه الصيغ معاني أخرى تجدها مبسوطة في كتب الصرف، وقد أفرد لها أحد الباحثين كتابا. (33) وقد تتبعت ما ذكره الرضي في شرح الشافية من معاني هذه الصيغ مما قد

يدل على الانعكاس، فلم أجده أثبت لـ (انفعل) المعنى الذي ذكره بروكلمن لها، لكنه قال في (تَفَاعَلَ): تغافلت: أظهرت من نفسي الغفلة، وأثبت لـ (تَفَعَّل) معنى التكلف، وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة، مثل: تحلَّم، وتمرَّأ، أي: تكلف الحلم والمروءة، وقال في: (افتعل): والظاهر أنه لاتخاذك الشيء أصله لنفسك، فاشتوى اللحم أي: عمل شواء لنفسه، وامتطاه: جعله لنفسه مطية، وكذا: اغتذى، وارتشى، واعتاد، وقال في (استفعل): استعجلت زيدا أي: طلبت عجلته، فإذا كان بمعنى عجلت، فكأنه طلب العجلة من نفسه. (34)

ثم قال بعد أن سرد معاني الصيغ: «واعلم أن المعاني المذكورة للأبواب المتقدمة هي الغالبة فيها، وما يمكن ضبطه، وقد يجيء كل واحد منها لمعان أخر كثيرة لا تضبط، كما تكررت الإشارة إليه. (35)

6 — ينبغي ألا تلتبس الضميمة المنعكسة (نفسه) وأخواتها بالضميمة المؤكدة التي تتفق معها لفظا وتختلف معنى، فهي في الأولى عنصر إجباري دال على انعكاس الحدث على الفاعل، ولا يمكن حذفه دون أن تختل الجملة تركيبا ودلالة، وهي في الثانية عنصر اختياري

وأومن بي. (37)

وبعد، فهذا هو الوصف التركيبي والدلالي للضمائر المنعكسة، وما تتصل به من أفعال تسمى أفعالاً منعكسة أيضاً، عرضت له من خلال المادة اللغوية الواردة في القرآن الكريم، وما ورد في كتب النحو العربي التراثي، وأفادت فيه من مناهج الدرس اللغوي الحديث والمعاصر عند الغربيين، ومن نحاة بعض اللغات الأخرى في رصد هذه الظاهرة في لغتهم، ومن نظرات بعض المستشرقين. ولعلي أكون بهذا البحث قد جلوت غامضاً، أو استدركت فائتاً، أو أضفت جديداً.

يؤكد اسماً في الجملة برفع الاحتمال عنه، وحذفه لا يخل بتركيب الجملة، ولا بمعناها الأصلي، إذا استغنيا عن المعنى الإضافي الذي يفيد التوكيد.

وأريد أن ألفت في ختام هذا البحث إلى أن بعض الشعراء المعاصرين أخذوا يستخدمون الضميمة المنعكسة استخداماً يخرج بها عن القاعدة، لا جهلاً منهم بها، بل اجترأ عليها، ومن هؤلاء الشاعر محمد أبو دومة، فقال في بعض قصائده:

- لكنني لم أعبأ بي

لم أتريث

واصلت لعلّي أغفر لي إثمي. (36)

وقال في موضع آخر :

- بغيبته أسافر فيه، أدخله لأعرفني

الهوامش

(1) Grebe, P.: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache, Duden 4 (Mannheim 1973), S. 75

(2) Perlmutter, D. & Soames, S.: Syntactic Argumentation and the Structure of English (U.S.A. 1979) p.9

(3) Helbig, G. & Buscha, J.: Deutsch Grammatik (Leipzig 1980)³ S. 65

(4) سيبويه : الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1966 - 1967) 2/367. الزمخشري: الفصل في علم العربية (بيروت د.ت) ص 259.

(5) الزمخشري : الفصل ص 262، الرضي: شرح الكافية لابن الحاجب (القاهرة 1310هـ) 2/285.

(6) الزمخشري : الفصل ص 262.

(7) سيبويه : الكتاب 2/366-368.

(8) السابق 2/366.

(9) Grebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwartssprache , Duden 4 S. 276

(10) سيبويه : الكتاب 2/111، 362، والرضي: شرح الكافية 2/14.

- Helbig & Buscha : Deutsche Grammatik S. 176 (11)
- (12) انظر في توزيع الضمائر المنعكسة وغير المنعكسة في اللغة الإنجليزية :
- Perlmutter & Soames : Syntactic Argumentation p. 8
- (13) سيبويه : الكتاب 2/111، 362، والرضي: شرح الكافية 2/14.
- (14) ابن السراج : الأصول في النحو. تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي (بيروت 1987) 2/161.
- (15) الزمخشري : المفصل ص 262.
- (16) ابن يعيش : شرح المفصل (المنيرية، القاهرة د.ت) 7/88.
- (17) الرضي : شرح الكافية في النحو 2/285.
- (18) السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو (بيروت 1984) 2/51.
- (19) الرضي : شرح الكافية في النحو 2/286.
- (20) السابق نفسه.
- (21) انظر : ابن جنبي : الخصائص. تحقيق محمد علي النجار (القاهرة 1952) 1/125.
- (22) ابن السراج : الأصول 2/121.
- Grebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwartssprache, Duden 4. S. 75 (23)
- (24) الرضي : شرح الكافية 2/286.
- Wright, W. : A Grammar of the Arabic Language (Beirut 1974)³, II p. 272 (25)
- (26) يطلق نحاة الإنجليزية على Myself وأمثالها مصطلح «الضمير المنعكس»، ويطلق عليه بعضهم «الضمير المركب» (Compound Pronoun) راجع :
- Thomson & Martinet : A Practical English Grammar. Oxford 1980 p. 41.
- Zandvoort : A Handbook of English Grammar. London 1975 p. 144.
- Grebe : Grammatik der Gegenwartssprache, Duden 4 S. 76 (27)
- (28) الرضي : شرح الكافية 2/286.
- (29) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (القاهرة 1953) 2/137.
- (30) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (القاهرة 1954) 30/48.
- (31) الرضي : شرح الكافية في النحو 2/285.
- Brockelmann, C. : Arabische Grammatik (Leipzig 1960)¹⁴ S. 38 - 40 (2)
- (33) هاشم طه شلاش : أوزان الفعل ومعانيها (التجف 1971).
- (34) الرضي : شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق : محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت 1982) 1/92 وما بعدها.
- (35) السابق 1/113.
- (36) محمد أبو دومة : أتباعد عنكم فأسافر فيكم (القاهرة 1988) ص 54.
- (37) السابق ص 87.

المصادر والمراجع

أ - العربية :

- * ابن جنى، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ).
— الخصائص. تحقيق محمد علي النجار (القاهرة 1952).
- * رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686 هـ).
— شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق : محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت 1982)².
- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب (القاهرة 1310 هـ).
- * الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت 538 هـ).
— المفصل في علم العربية (بيروت د.ت).
- * ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت 316 هـ).
— الأصول في النحو. تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي (بيروت 1987)².
- * سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ).
— الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1966 - 1967).
- * السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
— الأشباه والنظائر في النحو (بيروت 1984).
- * هاشم طه شلاش :
— أوزان الفعل ومعانيها (النجف 1971).
- * ابن يعيش، موفق الدين يعيش علي بن يعيش (ت 643 هـ).
— شرح المفصل (المنيرية، القاهرة د.ت).

ب - الأجنبية :

- Brockelmann, C : Arabische Grammatik (Leipzig 1960)⁴
- Grebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4 (Mannheim 1973)
- Helbig, G. & Buscha, J. : Deutsche Grammatik. Ein Handbouch für den Ausländerunterricht. (Leipzig 1980).
- Perlmutter, D. & Soames, S. : Syntactic Argumentation and the Structure of English. (U.S.A. 1979).
- Thomson, A. J. & Martinet A.V. : A Practical English Grammar (Oxford 1980)³.
- Wright, W.: A Grammar of the Arabic Language. (Beirut 1974)³
- Zandvoort, R.W. : A Handbook of English Grammar. (London 1975)⁷.